العدوان العراقي على دولة الكويت وآثاره المادية والمعنوية على مؤسسات الرعاية الاجتماعية

دراسة استطلاعية

د. عبدالوهاب محمد الطفيري*

مقدمة :

لم يشهد التاريخ الحديث مأساة كالتي حدثت للكويت، فمع فجر الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠ فوجيء الأهالي في الكويت بسيل عارم من القوات العسكرية تقدر بعشرات الآلاف من المقاتلين بكامل عدتهم وعتادهم العسكري يجتاحون مساحة جغرافية لا تزيد على ١٦ر٠٠٠كم٢، وتعداد للسكان لا يزيد على ٦٠٠ر٠٠٠ نسمة من الكويتيين وحوالي المليون والنصف من الأجانب من جنسيات مختلفة عربية وأجنبية. وخلال ساعات قليلة تحول مستقبل هذه الدولة الفتية إلى مصير غير معلوم وغير محدد المعالم. ففي أقل من ٢٤ ساعة فقط تهاوت كل الأنظمة القائمة وقصفت الدبابات والطائرات أغلب معالم الدولة ومؤسساتها دون تمييز، وعزلت بمن فيها عن العالم الخارجي، وسمع هدير الدبابات وهدير الطائرات وأصوات زناجير الدبابات والقاذفات وناقلات الجنود، والطلقات النارية والرشاشات في كل شبر في البلاد، وشهدت الساعات الأولى للغزو سقوط المئات من القتلى والجرحى : من العسكريين والمدافعين عن بلدهم دون استعداد سابق، حيث أن الغزو لم يكن متوقعا من دولة جارة عربية مسلمة تربطنا بها صلات تاريخية عميقة الجذور، ومن المدنيين الذين لا ذنب لهم سوى تصادف وجودهم في أماكن عمل أو أماكن عامة كالطرقات العامة، حيث شملهم القصف دون تمييز، وعمت البلاد حالة من الفوضى والذهول والشرود لم يعهدها مجتمع في العصر الحاضر. وخلال الأيام الأولى للغزو، تحولت المرافق العامة والساحات العامة إلى مشانق للأبرياء، وتحولت المدارس والأندية الرياضية إلى معتقلات ومراكز تعذيب، وتشرد حوالي نصف مليون مواطن هربا من روعة الأحداث، وتوقفت عجلة الحياة العادية وساد المنطقة تزاحم عسكري يفوق أعداد المواطنين الأصليين.

(*) جامعة الكويت، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

ففي ظل هذه الأجواء من القتل والتدمير والاغتيال والتعذيب والتنكيل فر حوالي ثلثي د السكان الأصليين (حوالي ٤٠٠ر٠٠٠ أربعمائة ألف نسمة) إلى الدول المجاورة، وأصبحت وارع شبه فارغة من السيارات والمارة، ناهيك عن المؤسسات العامة والخاصة والوزارات ناجر والمحلات التجارية التي أقفلت أبوابها. وسارع الناس إلى تخزين ما يحصلون عليه من د غذائية، وتدنت الحياة إلى درجة الكفاف.

وندد العالم بهذه الفعلة الشنيعة، وانشغلت الدوائر الرسمية طوال الفترة لإيجاد مخرج لهذه زمة التي لم تكن في حساب أحد. وبالرغم من الأهوال الكثيرة والكبيرة التي تمخضت عنها ذه الأزمة لم يتصور أحد أن تقترب من هذه الهمجية والوحشية التي نفذها زبانية النظام راقي في الكويت. فبالرغم من القتل والسلب والنهب والتعذيب والتنكيل والاعتداء على عراض والحرمات، لم يكن في تصور أي شخص أن تمتد يد الغدر لتعبث في المؤسسات جتماعية الإيوائية، والتي جهزت لتقدم المساعدة لفئة من المجتمع لا تتوافر لها أسباب العيش صورة طبيعية في المجتمع مثل الأطفال المجهولي الوالدين، والأيتام، والمعاقين بدنيا أو عقليا أو يا وعقليا من الجنسين، وكبار السن، والأحداث وغيرهم، وبالرغم من المحاولات اليائسة ي بذلها المسؤولون وأهل النفوس الخيرة من المتطوعين والعاملين في هذه المؤسسات الإيوائية ساعدة هؤلاء النزلاء وتلبية حاجاتهم الأساسية والضرورية، كانت يد الغدر أكثر بأسا وأشد طة من عزم أهل الخير، فتشرد من تشرد، وقتل من قتل وفقد من فقد، وتعرض منهم من رض لهتك العرض والتشويه والتعذيب، وآلت مؤسساتهم ومحتوياتها وحتى أشياء النزلاء تعتهم الشخصية إلى الخراب والسلب والتدمير بأسلوب لم يعهده تاريخ التتار أو النازيه، روي أحد المسؤولين عن دار رعاية الأحداث، أنهم في الأيام الأولى اضطروا إلى تهريب زلاء من أحداث وعجزه وأطفال معاقين إلى خارج المؤسسات خوفا من بطش الجنود ورجال ستخبارات العراقية.

هذه الأوضاع الشاذة مجتمعة دفعتنا لأن نتلمس الأوضاع التي آلت إليها الحالة المادية عنوية لهذه المؤسسات ونزلائها من ذوي الحاجات الخاصة، وتدوين ما تمخضت عنه تجربتهم يرة إبان العدوان الغاشم. ومن المفارقات أن يتصادف موعد كتابة هذه المقدمة بما تجره اءها من ذكريات مثقلة بالأحزان، مع موعد الاحتفال بإطفاء آخر بئر نفطي أشعلته يد الخيانة أصل أكثر من سبعمائة بئر أدت إلى تلوث الهواء والماء والأرض، حتى سميت بحق «جريمة صر». وفي الوقت نفسه ترتفع الرايات الصفر في كل مكان معبرة ومستنكرة مماطلة النظام راقي في إطلاق آلاف الأسرى والمحتجزين من المواطنين الكويتيين من سجون الطاغية أخذوا ة من بيوتهم ومن الشوارع العامة والمساجد كرهائن، فقط لأنهم كويتيون.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة التي تلمس واقع المؤسسات الإيوائية في الكويت إبان الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت وما آلت إليه أوضاع هذه المؤسسات ونزلائها من أصحاب الحاجات الخاصة في المجتمع كالمعاقين والأيتام والأحداث وكبار السن ـ وكذلك النظر في إمكانية تطويع نظرية الأزمات المعمول بها في مجال الخدمة الاجتماعية وتسخيرها للعمل مع النزلاء لتخطي الآثار السلبية وتدعيم الإيجابيات الناتجة عن هذه الأزمة.

ومن هنا يمكن أن نتصور أن هناك هدفين أساسيين وهما:

١ ــ **هدف تشخيصي**: وذلك بدراسة أوضاع هذه المؤسسات من حيث المكان وما يحتوي عليه من أجهزة ومستلزمات وكذلك أحوال النزلاء من تلك الفئات.

٢ ــ **هدف علاجي**: هو استعراض للنتائج التي توصلنا إليها من الهدف الأول ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها ـ ليتسنى لنا وضع خطط مستقبلية وآنية لمواجهة المواقف المختلفة التي يمر بها نزلاء تلك المؤسسات.

اتجاهات الدراسة:

تتجه الدراسة إلى وضع تصورات مبدئية مفادها أن الضرر والتصدع الذي أصاب المؤسسات الإيوائية بالكويت له آثاره الكبيرة على برامج تلك المؤسسات بالصورة التي كانت عليها قبيل الغزو. وإذا لم تأخذ هذه المشكلة طريقها للحل وبالصورة المطلوبة فإنه ومن المتوقع أن تنتج عنها مشكلات لها نفس درجة العمق في نفوس النزلاء، كما يمكن أن يكون لها تأثير على بقية فئات المجتمع بدرجات متفاوتة. حيث إن هذه المؤسسات تقدم خدمات جليلة لفئات من المجتمع لها حاجيات ضرورية لا يمكن أن تتوافر في المجتمع الخارجي بصورة طبيعية. إذ إن حماية المجتمع من الأحداث والمنحرفين، وتقديم الرعاية الإيوائية للأطفال فاقدي الوالدين وكبار السن والمعاقين بدرجاتهم، بحاجة إلى متخصصين وإمكانيات غير عادية لا تتوافر في كثير من الأحيان داخل الأسرة. وعليه فإن استمرار عمل هذه المؤسسات أصبح من الضرورة بمكان حيث لا يمكن الاستغناء عنه حتى لفترة أشهر قليلة.

مصادر جمع المادة العلمية:

اعتمدت الدراسة على جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية، مثل، نزلاء المؤسسات الإيوائية، والقائمين عليها بمختلف وظائفهم الإدارية والفنية وخاصة الموجودين أثناء الأزمة ـ وكذلك تحليل المراجع المتوافرة في المؤسسات وخارجها من كتب ونشرات ودوريات وتقارير.

ئل جمع المادة العلمية :

اعتمدت الدراسة على استخدام أسلوب المقابلة الشخصيه الفردية والجماعية منها، لما لها ر فعال في استخلاص البيانات المطلوبة في مثل هذه المجالات بالإضافة إلى استخدام ب الملاحظة المباشرة.

اسات السابقة :

إن من أكثر ما يميز غرائز المحتلّ أو الغازي إذا ما دخل بلدا ما هو ذلك «التراث» المختلف البلدان من عادات وتقاليد وثقافة ولغة وسلوك وأمجاد وتاريخ، إذ يحاول أول ما يحاول ي هوية البلد والعلامات المميزة له ليشعر بالأمان في المكان الجديد، ليهدم وينظم بالطريقة اعتاد عليها من حيث أتى، بغض النظر عما إذا كان ما جاء به يصلح للمكان الجديد أم لا ح، فالمهم في نظره هو صبغ المجتمع الجديد بنفس ألوان المجتمع الغازي. إن الغاية هي سع بصماته الجديدة على الوضع الجديد وأن يشعر الكل بذلك.

وأقرب الغزوات إلى أذهاننا نحن العرب هو الغزو الصهيوني لأرض فلسطين، فمع ن الدولة اليهودية بعيد الحرب العالمية الثانية، عملت الدولة اليهودية الناشئة على إتلاف ث الفلسطيني والمؤسسات في المنطقة ضمن برنامج مدروس، من تغيير في أسماء الشوارع طق ولوحات السيارات وتغيير أهداف المؤسسات العامة إلى تغيير كل سطر أو كلمة تشير من ، أو بعيد إلى الدولة الفلسطينية وإبدالها بالكيان الصهيوني[1]. يروي السيد / عبدالجواد ح في كتابه الاحتلال الإسرائيلي إن الحرب الثقافية التي يشنها الاحتلال الصهيوني ضد ب الفلسطيني، تستهدف إلغاء اسم فلسطين والعلَم الفلسطيني وسرقة التراث من زي ء وعمارة، ومحاربة الأغنية الوطنية كجزء من مخطط مبرمج يخدم التصور الصهيوني في تنفيذ المشكلة الفلسطينية». وتهدف هذه الحرب الثقافية إلى تدمير المؤسسات الثقافية والتربوية ، ذلك أعمدتها من معلمين وكتاب وأدباء وطلبة تشكل الأساس للحرب الإسرائيلية دة.

وعند دخول القوات العراقية الغازية إلى الكويت، حرص الغزاة على تنفيذ برنامج بيع بما يتناسب وانتماءاتهم وثقافتهم، فجرى تحويل اسماء الشوارع الرئيسية والمدارس شفيات والمؤسسات والسوزارات ولوحات السيارات والمعاملات الرسمية لات... الخ. ولصق الشعارات الرنانة وصور «السيد الرئيس» في كل مكان. ففي

---

[1] عبدالجواد صالح، الاحتلال الإسرائيلي، مركز القدس للدراسات الإنمائية، لندن ١٩٨٥.

الشهور الثلاثة للغزو شيدت القوات العراقية ما يقارب (١٨٥) نصبا تذكاريا يحمل صورة «هدام العراق».

وكان من ضمن تطبيق هذا البرنامج، هو الاهتمام بالمؤسسات العامة كالشرطة والبريد وبعض المراكز الصحية وإهمال البقية الباقية مثل مؤسسات الخدمات والنظافة والكهرباء والماء والمستشفيات والجمعيات التعاونية والمؤسسات الإيوائية دون اعتبار للموجودين في هذه المؤسسات. وفي لقاء مع إحدى المسؤولات عن دار رعاية الأحداث أن الأوامر كانت صريحة للجيش العراقي بنقل جميع الأحداث إلى بغداد حيث يوضعون في مدارس خاصة هناك تربيهم على الولاء للسلطة ـ على غرار ما كان يجري في الحكم النازي من بناء جيش قوي لا يعترف أفراده بالدين أو العائلة بل بالسلطة وأوامرها، وجاء في كتابات د. حسن العلوي ـ قائد المعارضة العراقية في المنفى وفي لقاء تليفزيوني من دولة قطر[1] أن النظام العراقي خلال العشرين سنة السابقة حاول بناء هذا الجيش وبهذا الأسلوب وهو ما يسمى بالجيش الجمهوري وهو من أكثر الموالين للنظام القائم وهو مؤسس على حب السلطة والولاء لها دون نقاش.

المؤسسات الإيوائية في ظل الاحتلال:

ويبدو أن المؤسسات في الكويت وخاصة مؤسسة الأحداث من الجنسين كان مصيرها إلى هذا الدرب ـ وتروي مسؤولة دار الأحداث أن الإدارة اضطرت إلى الادعاء بأن النزلاء من الأيتام في الأسبوع الأول، ثم تم تهريب النزلاء من الأحداث إلى بيوت ذويهم وأقاربهم خوفا عليهم من القوات العراقية.

أما بقية المؤسسات الأخرى كالمسنين والمعاقين والمتخلفين عقليا فإن مصيرهم كان الإهمال التام من القوات العراقية ـ وانقطع عنهم الزاد والماء والدواء من الأيام الأولى ـ حتى اضطرت البقية الباقية من المسؤولين إلى الاستعانة بالشركات والمتاجر والجمعيات التعاونية والجمعيات الخيرية لتوفير قدر من الطعام للنزلاء.

وقد روت إحدى المتطوعات اللواتي عملن خلال فترة الاحتلال أن العاملين اضطروا إلى إخفاء ما يحصلون عليه من مؤن وزاد وأدوية في حفر تحت الأرض وفي مجاري المياه والبالوعات.

ففي ظل هذه الأوضاع المزرية لم يستطع القائمون على هذه المؤسسات الاستمرار في دعم النزلاء والمحافظة عليهم خاصة وأنهم يتعرضون إلى التحقيق والأرهاب اليومي من قبل القوات العراقية بالرغم من الرسالة الجليلة التي يقومون بها، فعزم أصحاب القرار فيها إلى توزيع

(١) ١١ نوفمبر ١٩٩٠.

ء على الأهالي وخاصة الأطفال فاقدي الوالدين وكبار السن حيث إن رعايتهم يمكن أن تتم نـازل ـ أما أصحـاب التخلف العقلي والتخلف البـدني الشديـد فقد عملت المؤسسـة عـلى لال المتطوعين من الجنسين للمساعدة في رعايتهم.

وحتى هذه الفئات من المتخلفين عقليا وبدنيا بدرجة كبيرة ـ فإن القوات الغازيـة لم تتورع سلب ونهب ممتلكاتهم الشخصية من نقود وحقائب وأدوات بصفـة دورية بحجـة التفتيش ـ يرا سرقة الأجهـزة العلمية المسـاعدة مثـل أدوات التـدريب للمعـاقـين والأجهـزة الـطبيـة وية.

وفي لقاء مع الأخصائية سناء الشرقاوي/ مشرفة دار المعاقين[1]، تبيّن أن نقص الأدويـة لاج والضغط النفسي إثر العـدوان على النـزلاء أدى إلى حالـة من الاكتئاب الشـديد لـدى ء وأصيب البعض الآخر بآثار نفسية تمثلت بالخوف، ونوبات شديدة من الصرع والهستيريا ل واضح.

وليس من المتـوقع أن تمـر هذه الـظروف على مثـل هـذه الفئـات دون أن تـترك بصـماتهـا بهة، بالرغم من الجهود الكبيرة التي قـدمها مسؤولـوا هذه المؤسسـات لحمايتهم ـ إذ فقـدت سـات رعايـة المعاقـين حوالي ثلث نـزلائها بسبب عـدم تـوفـر الـطعـام المنـاسب والأدويـة لاجات المختلفة بالأضافة إلى الحالة النفسية التي عاشوها ـ فقد توفي حـوالي ثلاث وثـلاثون) وارتفع العدد إلى ست وخمسين (٥٦) قرب فترة التحرير، من نزلاء الدار. وحوالي مـائة ١) من كبـار السن، وثمانيـة وعشرين (٢٨) من دار التأهيـل للرجال وخمسـة (٥) من دار ل للنساء.

وهذه هي الأرقام الأولية لحالات الوفاة بين صفوف هذه الفئات، وتشير التقاريـر إلى أكبر ذا الرقم قبيل فترة التحرير.

وفي ظـل هذه الـظروف التعسة اضـطرت البقية البـاقية من النـزلاء إلى تـرك المؤسسـات ـماعية مثـل مؤسسة الأحـداث، ودور الملاحـظة وكبار السن والمعـاقين... الـخ، وتحولت ماتهم إلى مراكز للجيش العراقي لاعتقـال وتعذيب المقـاومة الكـويتية، كـما روى لنا بعض ذبوا على يد قوات المخابرات العراقية.

سات الإيوائية بعد التحرير:

هـذه هي حال المؤسسـات الاجتماعيـة الإيوائيـة أثناء فـترة الاحتـلال، ولكن مـاذا بعـد

صائية اجتماعية، دار المعاقين، مقابلة شخصية ١٩٩١/١١/٤.

التحرير؟؟، عمد القائمون على هذه المؤسسات إلى حصر الأضرار المادية التي تمثلت في فقد كل شيء تقريبا حسب ما جاء في تقارير لجان التعمير ـ إذ فقدت المؤسسات على اختلاف أنواعها كل مقوماتها من أجهزة وأدوات طبية، وأثاث، حتى الأوراق الخاصة بالمؤسسات من كتب ونشرات وإحصائيات، ويلزم البدء من جديد بعد إصلاح المباني والتكييف والتدفئة والتلفونات. . الخ من مستلزمات العمل. هذا بالإضافة إلى أن هذه المؤسسات غير صالح للعمل كمؤسسة الأحداث، مما اضطر معه المسؤولين إلى نقل النزلاء إلى السجن العمومي بالدوحة مؤقتا، علما بأن هذا مخالف لقانون حماية الأحداث.

أما الخطوة التالية فتتمثل في جمع شمل هذه الفئات كل حسب اختصاصه، خاصة وأن هناك فئات تتطلب عناية مباشرة ومستمرة على أيدي اختصاصيين مهنيين، كالمعاقين بدنيا وعقليا بالاضافة إلى الأيتام ومجهولي الوالدين وبعض كبار السن. ومن الجدير بالذكر هنا، هو زيادة عدد الأطفال حديثي الولادة من فئة مجهولي الوالدين ـ إذ إن الاعتداءات على السيدات كانت كبيرة من قبل القوات العراقية بقصد إذلالهن ـ ونتج عن ذلك حالات حمل كثيرة (غير شرعية)، وفي ظل الأعراف الاجتماعية الصارمة في المجتمعات الخليجية، فإن هذا الوضع يشكل ضغوطا اجتماعية كبيرة على أسر تلك الفتيات، فتضطر الأسرة إلى التخلص من هذا العار بالتخلص من الجنين، وفي بعض الحالات التخلص من الأم وطفلها، وتداركا لهذا الوضع الشاذ فقد عملت إدارة مؤسسة رعاية الأطفال مجهولي الوالدين إلى وضع الترتيبات اللازمة لتبني هؤلاء الأطفال وتوثيق ذلك شرعا إذا أمكن أو ترك الأطفال قرب المساجد ومخافر الشرطة حفاظا على كرامة الأسرة المتضررة ومنعا لتفاقم المشكلة.

والمشكلة الأخرى التي تواجه هذه المؤسسات الرفض الشديد الذي تمثل في شكل مظاهرات جماعية من قبل نزلاء مؤسسة رعاية الأيتام للعودة إلى حياة المؤسسة مرة أخرى ـ كما رأينا أنه تحت ظل الظروف السابقة عملت إدارة المؤسسة إلى توزيع نزلائها من الأطفال والمراهقين على العائلات الكويتية الراغبة في رعايتهم بصورة مؤقتة. والواقع أن هذا مطلب يسعى إليه النزلاء، فالفارق كبير بين الحياة في المؤسسات بما تحمله من وصمة اجتماعية والعيش وسط جو عائلي ـ وهذا بدوره أدى إلى نتائج إيجابية وأخرى سلبية. تتمثل الأولى في توفير التعاضد والدفء والعاطفي لهؤلاء الأيتام وهم بأمس الحاجة إليه ولا يمكن أن يتوافر داخل المؤسسات الإيوائية وتحت أفضل الظروف وهو المطلب الأساسي للمؤسسة أيضا حتى تعد النزيل ليكون عضوا عاملا في المجتمع. أما الجوانب السلبية فتتمثل في الحرية الواسعة وبعيدا عن أي رقابة خاصة بالنسبة للمراهقات والتي أدت إلى اكتسابهن خبرات سلبية جديدة عليهن مثل معاكسة الشباب والخروج معهم وارتداء الملابس الفاضحة وغيرها من السلوكيات الغير مرغوبة اجتماعيا وتحت ظل رعاية المؤسسة. كل هذه الأوضاع أوجدت شعورا بعدم الرضى عن جو

سات الاجتماعية ورغبة بعض اليتيمات في الخروج على السلطة. «وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المؤسسة مطالبة بدراسة هذه الظاهرة، إذ إنه من غير المستحب أن يعيش نزلاء هذه سات بعيدا عن جو المجتمع، في الوقت الذي تشير جميع أهداف هذه المؤسسات إلى إعداد ء النزلاء إلى المجتمع كأفراد متوافقين نفسيا واجتماعيا مع أفراد المجتمع». «إن إعداد الفرد ي الخالي من المشكلات والعقد النفسية لا يمكن أن يتم في جو موصوم بالعار الاجتماعي التقبل». وهناك شعور عام يسود نزلاء هذه المؤسسات يتمثل في عدم الرضا الممزوج تئاب وعدم الثقة بالقائمين على هذه المؤسسات، هؤلاء الذين تخلوا عنهم إبان الغزو ـ لي فإن جوا من عدم الثقة والاطمئنان يشوب العلاقات داخل هذه المؤسسات.

ومؤسسات الأحداث الجانحين ليست أكثر حظا من سابقتها، فالأحداث يعيشون الآن في ون العامة بصورة مؤقتة، ولا نستطيع أن نغفل خطورة هذا الوضع وما يترتب عليه من ات في وقت لاحق. كما أن الملاحظ أيضا زيادة عدد حالات ارتكاب الجريمة والجنح عها بين صفوف المراهقين ومن هم دون السن القانوني. ويعزو البعض ذلك إلى حالة ى والاضطراب التي عاشها الشعب الكويتي خلال فترة الاحتلال وما ترتب على ذلك من أعداد هائلة من الأسلحة والذخائر، ونزوح أعداد كبيرة من المواطنين والوافدين تاركين نهم وسياراتهم ومتاجرهم عرضة للنهب والسلب، وفي غياب القانون. هذه الأشياء مجتمعة إلى ارتفاع معدلات الجريمة والجنح بأنواعها بصورة ملحوظة في المجتمع الكويتي خلال وبعد لاحتلال.

ففي[1] تصريح للسيد/ مدير إدارة رعاية الأحداث في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ة الوطن أن إدارة رعاية الأحداث وجدت بعد التحرير أن هناك نمطا من الانحرافات دة على المجتمع الكويت نتيجة الغزو الغاشم يتمثل في استخدام السلاح والتهديد والقتل السلاح في أيدي المراهقين وكثرة الأرهاب والكبت النفسي الذي عاناه الشباب الكويتي لغزو الغاشم، وأثر ذلك بصورة سلبية على سلوكيات الأحداث بعد التحرير. وأضاف: اك حوالي (٩٧٣) قضية مطروحة على نيابة الأحداث للنظر فيها وهناك ترقب لاستقبال ت كثيرة خلال الفترة القادمة.

وأشارت[2] دراسة أخرى أجريت على طلاب المدارس لقياس الآثار الاجتماعية والنفسية على الطلاب إلى أن نسبة زيادة مشاعر الخوف ١٦٪ والسلوك العدواني ٥٥٪ وحوالي ٩٧٪ إلى استخدام الألعاب العسكرية وان اهتزاز القيم يقدر بحوالي ٩٪.

ريدة الوطن، العدد ٥٦٦٧/١١٣، الاثنين ١٨/١١/١٩٩١.

ريدة الوطن: العدد ٥٦٨١/١٢٧، الاثنين ٢/١٢/١٩٩١.

لقد أفادت ملاحظات الاختصاصيين الاجتماعيين والمدرسين وأولياء الأمور أن فترة الاحتلال البغيض لدولة الكويت أثرت سلبيا على أطفال رياض الأطفال وتلاميذ المراحل المختلفة وخلقت انعكاسات اجتماعية ونفسية سوف تعوق نموهم الاجتماعي النفسي إذا لم تجد التشخيص الجيد والعلاج المناسب. بوجه عام فإن الملامح البارزة للدراسة تشير إلى عدة ملاحظات وهي :

- ازدياد مشاعر الخوف عند الأطفال.
- ازدياد مظاهر السلوك العدواني ورفض الذهاب إلى المدرسة.
- زيادة حالات الاضطراب النفسي.
- الانصراف إلى الألعاب ذات الطابع العسكري.
- استغراق الأطفال في قصص وهمية عن جرائم السلب والنهب.
- اهتزاز بعض القيم والثوابت الاجتماعية.

نظرية الأزمة والتدخل العلاجي :

واستكمالا لأهداف هذه الدراسة ينبغي علينا توظيف نظرية الأزمات في العلوم الإنسانية موضع التطبيق هنا للخروج منها بحلول آنية ومستقبلية للتعامل مع هذه الأزمة.

تعريف الأزمة : هناك وجهات نظر مختلفة لتعريف الأزمة[1] فيراها الأطباء مثلا «نقطة تحول في سير المرضى»، بينما يفسرها آخرون بأنها موقف عصيب أو حادث حاسم تظهر له نتائج سيئة كما هو الحال في الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية، ويعرفها معجم العلوم الإنسانية بأنها توقف الأحداث المنتظمة والمتوقعة، واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغير السريع لإعادة التوازن ولتكوين عادات جديدة أكثر ملاءمة. كما يعرفها أحمد عزت راجح بأنها الصعوبات والعقبات المادية والمعنوية التي تواجه الإنسان في حياته وتعوق سير دوافعه نحو تحقيق أهدافه.

ويتلخص العمل في هذه النظرية على اعتبار أن الإنسان يمر خلال حياته بتغيرات سريعة ومتلاحقة ناتجة عن عمليات التصنيع والتقدم التكنولوجي بالإضافة إلى الأحداث التي تؤثر في كيان الشخص من أزمات نفسية وتوترات عصبية نتيجة للكوارث الطبيعية والظروف الخطيرة، مثال :

- الضغوط التي تهدد الأهداف العامة في الحياة مثل الصحة والأمن والروابط العاطفية - وهذا

---

(١) زينب أبو العلا وآخرون، الاتجاهات الحديثة وخدمة الفرد، جامعة حلوان، ١٩٩٠.

دوره يؤدي إلى زيادة هـذه الضغوط، ثم إلى إحـداث اضطراب في تـوازن الفرد. وكلما زاد حتلال الفرد ارتفـع معدل التـوتر ـ وعـلى هذا يلجـأ الإنسان إلى كـل ما هـو متاح لـديه من صادر وإمكانيات لاستعادة هذا التوازن، فإذا فشل في ذلك استمر التوتر في التصاعد إلى أن صل إلى ما يسمى بنقطة التحول، حيث يعيش الإنسان مرحلة الاضطراب واختلال التوازن بذلك يدخل في مرحلة الأزمة.

وينظر الفرد إلى موقف الأزمة على أنه تهـديد لـوجوده ولاحتيـاجاتـه الأساسيـة ومشاعـره ذا بدوره يؤدي إلى مشاعر سلبية قويـة تظهـر في صورة اكتئـاب أو يأس وفقـدان للأمـل أو ن المستمـر، ومن خلال هـذه المواقف تضغط العمليـات الدفـاعيـة في الفـرد ويصبـح أكـثر عدادا لقبول التأثيرات الخـارجية ويصبـح الحد الأدنى من التـدخل قـادرا على إحـداث الحد مى من التغيير.

ولعل هذا يفسر لنا حالة الاكتئاب المستمـرة سواء في مجمـوعات كبـار السن أو المراهقـين ي الـوالدين بعـد العودة إلى مؤسسـاتهم وهو الشعـور بضياع كـل شيء أو ضياع الأمـل في بن أسرة أو العيش في أسرة متحابة، وإن كانت فـترة الاحتلال فـترة عصيبة في كـل الجوانب نها وفرت جوا عائليا لم يكن متـوفرا لهم من قبـل في المؤسسات، وهـذا يفسر لنا سر رفضهم دة إلى المؤسسة أو الثورة عليها كما سبق أن بينّا، وهذا ينطبق على المعاقـين وكبار السن أيضـا جة لا تقل عن حالة فاقدي الوالدين.

وإذا ما شخصنا أزمة الغزو من محاور النظرية الثلاثة وهي :

من حيث المستوى.
والمحتوى.
درجة التوقع.

فـإننا نـرى أنها أزمة مجتمعيـة المستوى وهي التي يتـأثر بهـا الغالبيـة العـظمى من سكـان تمع ومن حيث المحتوى فإنها على الجانبين المادي والمعنوي. **المادي** بما فقدته هـذه المؤسسات دوات ومبان وأجهزة، **والمعنوي** يتمثل في تفكك العلاقـات القائمـة بين النـزلاء ومشرفيهم لاقات الـداخلية بينهم كـزملاء وأصـدقاء ـ ومنهم من فقـد البقية البـاقية من ذويـه وأهله، اف إلى هذا كله فقدان للثقة بينه كنزيل أو مواطن والسلطة التي لم تستطع أن تحميه وتوفر له جياتـه من الأمن والأمان في الأزمـة. والجوانب المعنـوية لا يمكن حصرهـا في هـذه السـطور لة، إذ إن فداحة الكارثة عـلى الجميع كبـيرة فقد تـراوحت بين الاستهتـار بالقيم الإنسـانية ادات والأعراف الاجتماعية من قبل الجنود العراقيين إلى انتهاك الأعراض وبصورة مقززة.

«لقـد كان من الـواضح أن النـظام العراقي لا يقيم وزنـا لهذه الفئـات الخاصـة بل يؤثـر

التخلص منها لأنها فئات عاجزة لا تستحق الحياة. . من الأفضل توجيه الجهود إلى من ينفع المجتمع من الأصحاء» هذه العبارات ترددت كثيرا من جنود الاحتلال وعلى مسامع الجميع كما روته لنا الاختصاصية الاجتماعية بالدار. وجاء على لسان بعض النزلاء أنفسهم».

في حديث مع مسؤولة دار الضيافة للفتيات، أن محاولات الجنود العراقيين كانت كثيرة ومتكررة للاعتداء على شرف الفتيات واغتصابهن مما حدا بالإدارة إلى تهريبهن إلى خارج المؤسسة بين الأهالي لتوفير الحماية لهن.

وأما من حيث درجة التوقع، فإنها أزمة أبعد ما تكون عن كل التوقعات، فلها من درجات المفاجأة ما يجعلها فريدة من نوعها حتى على المستوى العالمي من حيث الكم والكيف ـ لقد تميزت اللقاءات الصحفية الأولى للمواطنين الكويتيين في الخارج وللمهتمين بالشؤون السياسية بانطباع المفاجأة وجمود التفكير وعدم القدرة على تصديق ما يحدث ـ وإن الحادثة أقرب ماتكون إلى الخيال منها إلى الواقع. وهذا بدوره يجعل حل هذه الأزمة وما ترتب عليها من آثار سلبية أكثر تعقيدا مقارنة بالأحداث المتوقعة أو المقرونة. يدعي كثير من النزلاء إلى اليوم أنهم لا يستطيعون أن يصدقوا أنهم عاشوا هذه الأزمة وأنهم اليوم أحرار، بل يعاودهم الخوف والقلق باستمرار عند المرور بأي شيء يذكرهم بها مثل الشوارع والمتاريس التي أقامها الجيش العراقي في كل الطرقات والبيوت المخربة والمباني والمؤسسات. . . . الخ.

أساليب التدخل والعلاج:

يعتمد أسلوب التدخل والعلاج على محاور أساسية ثلاث هي:

١ ــ محاولة إزالة الضغوط النفسية.
٢ ــ تدعيم قدرات العميل لمواجهة الأزمة.
٣ ــ تجنيدالإمكانات في البيئة المحيطة بالعميل لحل الأزمة.

أولاً: **محاولة إزالة الضغوط النفسية** الواقعة على العملاء وذلك عن طريق ما يسمى «بالإفراغ الوجداني» الذي يستهدف تخفيف المشاعر السلبية مثل القلق والتوتر والأحساس بالذنب والمشاعر المرتبطة بالعار، ومحاولة تجزئة المشكلة إلى أجزاء صغيرة واعتبار كل جزء هدفا بحد ذاته ووضع الحلول المناسبة لكل جزء بمفرده على أن يبدأ بالأجزاء السهلة أولا وهذا بدوره يقوي ثقة العميل بنفسه ويدعمها لمواجهة المشكلة. مع محاولة تأكيد المشاعر الإيجابية في نفس وشخصية العميل، ومحاولة إزالة المشاعر السلبية كالمبالغة في حجم المشكلة ووضعها في مكانها الصحيح،

ومحاولة تجديد الأمل في نفس العميل خاصة وأن أكثر النزلاء يعاني من أكثر من مشكلة.

: **تدعيم قدرات العملاء على مواجهة الأزمة:** وهذا يتم ضمن برنامج تزويد العميل بالمعلومات والمهارات التي يحتاج إليها للخروج من الأزمة ـ مثال معلومات وبيانات عن الأزمة وأبعادها والأحداث المحيطة بها. والإمكانيات المتاحة وأساليب العلاج اللازمة. كما يمكن استخدام أسلوب التوجيه الذي يعمل على إثارة توقعات العميل في المستقبل واحتمالاته المرغوب فيها ـ وكيفية تجنب السلبي منها، على ألا تكون هناك مبالغة، والبعد عن إثارة التوقعات الغير واقعية أو المثالية. وهناك ما يشير إلى أن التدعيم وزيادة درجة الأمل له علاقة طردية بتحسن حالة العميل وقدرته على مواجهة الأزمة.

ومن الملاحظ أن العميل في مثل هذه المرحلة يكون فريسة سهلة للانفعالات السلبية التي ف قدرته على التفكير السليم، «وهذا يفسر لنا سر انتشار الإشاعات في مثل هذا الوقت» يتوجب على الاختصاصيين استعمال التأثير المباشر الذي يتضمن رأيهم بالمشكلة وذلك عن ق الإيماء والترجيح والنصحية والتدخل الفعلي.

من جانب آخر فإن عمليات التدعيم تشمل عملية إعادة العميل إلى العالم الخارجي، حيث لأزمات تعمل على إعطاء العميل الشعور بالعزلة والفراغ، وقد تبدو هذه واضحة في حالة ان أشخاص ارتبط بهم لفترة طويلة ولهم تأثير مباشر عليه، «مثال: فقدان عدد كبير من فين السابقين في المؤسسات وكثير من أصدقاء النزلاء ممن توفوا بسبب الغزو» فيعمل تصاصي على إيجاد علاقات بديلة للتعويض عن النقص أو الفراغ الذي تركه الراحلون، اعدة العميل للعودة إلى العمل بصورة طبيعية.

ا: تجنيد الإمكانيات البيئية:

في الغالب يتطلب مواجهة الأزمة من الجهد والإمكانات ما يفوق قدرة المؤسسات أو ات نزلائها، لذلك يلجأ المتخصصون إلى الإمكانات المتاحة في البيئة الخارجية «المجتمع» مل هذه الإمكانيات ما يأتي:

- كل ما هو متاح من إمكانيات سواء كانت مادية أو بشرية في محيط العميل، الأسرة، الأصدقاء، الاختصاصيين... الخ.
- إمكانيات المؤسسة التي يعمل بها الاختصاصيون، ومنها التقنية والفنية.
- إمكانيات المؤسسات الأخرى في المجتمع المحلي الذي يعيش فيه العميل.

٤ ــ إمكانيات المتطوعين والقيادات المحلية غير الرسمية والتي يمكن تجنيدها لخدمة العملاء ومن الملاحظ أن موضوع التطوع من الموضوعات المهمة جدا في هذا المجال، لأنه يفتح الباب أمام المشاركة الشعبية لمعرفة الدور الذي تقوم به المؤسسات الإيوائية وكذلك يسمح بالتقارن بين نزلاء المؤسات والأفراد الأسوياء في المجتمع الخارجي.

هذا بعض ما تقدمه نظرية الأزمات في مجال الخدمة الاجتماعية في ظروف كالتي يمر بها المجتمع وخاصة بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية والإيوائية وهناك المزيد من التفاصيل في المجال الميداني لتطبيق هذه النظرية.

ووجود هذه النظرية كأسلوب في العلاج لا يتنافى مع استخدام التكنيكات الأخرى المعروفة في مجال الخدمة الاجتماعية والنفسية مثال خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع، بل تعتبر وسيلة مساعدة في تحديد سير العمل وتجنيد الطاقات لإيجاد الطرق والوسائل المختلفة في العمل مع الأفراد والجماعات المتماثلة.

الخلاصة:

هدفت هذه الوقفة إلى وضع تصور عن الحالة المادية والمعنوية التي وصلت إليها المؤسسات الإيوائية في الكويت إبان الغزو العراقي الغاشم في الفترة الواقعة بين الثاني من أغسطس ١٩٩٠ حتى السادس عشر من نوفمبر ١٩٩١. فقد كانت هذه الفترة كفيلة بإتلاف كل شيء، ولعل الكلمة لا توفي الموقف حقه إذ ارتبطت بها جوانب نفسية تحتاج إلى الكثير من الجهود للعودة بها إلى سابق عهدها.

كما تهدف الدراسة إلى تطويع نظرية الأزمات المعمول بها في مجال العلوم الإنسانية لمواجهة المشكلات الفردية والجماعية التي تواجه نزلاء هذا الدور، ويرى الباحث أن هذه مجرد مقدمة للعمل العاجل من أجل الحالات التي تواجه المؤسسات الاجتماعية يوميا.

ولاستكمال هذاالعمل يجب أن يسارع المتخصصون والباحثون في مجالات العلوم الإنسانية لتكوين فريق عمل متكامل يدرس الحالات بأوضاعها الجديدة فيما يتعلق بالمداخلات النفسية، والتعقيدات السلوكية المترتبة على أحداث هذه الأزمة وتحديد السلوكيات المتوقعة من النزلاء والتي ستظهر في الوقت القريب القادم.

سيات الدراسة :

إعطاء صلاحيات واسعة لفريق العمل من الاختصاصيين والفنيين ليتسنى لهم اتخاذ القرارات بشأن ترتيب سبل التدخل لحل الأزمات التي تواجه النزلاء بعيدا عن الروتين المعتاد.

محاولة تبسيط وتسهيل الإجراءات القانونية والإدارية قدر الإمكان لأن الوقت يلعب دورا حاسما في مثل هذه الموضوعات وضياع الفرص لا يمكن تعويضه بجهود لاحقة.

إيجاد وسائل اتصال مباشر، مثال «الخط الساخن» والذي يسمح لأي فرد يعاني من مشكلة الاتصال دون حياء أو تردد، خاصة وأن هناك مشكلات لا يمكن الحديث عنها علنا مثل الاعتداءات الخلقية. . . . . الخ.

استمرارية الخدمات خلال ساعات اليوم والنهار للسماح لأكبر قدر من المحتاجين للحصول على هذه الخدمات نظرا لضخامة عدد المتضررين من هذه الأزمة، ونظرا للوقت الطويل الذي يحتاجه الاختصاصيون للتعامل مع صاحب المشكلة.

عمل مقاييس للمتابعة وتعويض النقص وتعديل البرامج باستمرار بما يتناسب وحجم المشكلة.

تشجيع البحث العلمي المستمر، حيث إنه المؤشر العلمي الحقيقي لتحديد جوانب المشكلة وتقديم الحلول المناسبة لها.

كلات التي واجهت الدراسة :

عدم توافر المراجع ـ نظرا لما قام به العدو الغاشم من إتلاف كامل للمكتبات العامة والخاصة بالدولة ـ فإنه كان من المتعذر الحصول على مراجع كافية تخدم البحث ـ وقد اعتمد الباحث على الكتب والمراجع الشخصية ـ بالإضافة إلى المراجع التي تبرع بها أهل الخير.

عدم توافر سجلات حيوية عما حدث أثناء الأزمة للنزلاء في هذه المؤسسات بالمراحل المختلفة، واعتمد البحث على المقابلات الشخصية للعاملين والاستعانة بالكتيبات والتقارير الصادرة من هذه المؤسسات في الآونة الأخيرة.

تعمد البحث إسقاط الكثير من الأحداث المخلة بالشرف والخادشة للحياء، نظرا لسريتها وصعوبة نشرها خاصة في المجتمع الكويتي المسلم ـ وهذا بدوره دفع الباحث إلى تجنب ذكر كثير من الحقائق على حساب الدراسة.

٤ ــ إن هناك الكثير من المشكلات التي لم تظهر على الساحة بعد ـ إذ إن الدراسة جاءت مباشرة بعد التحرير، ولا شك في ان الاستمرار في البحث سيوصلنا إلى حقائق أكثر عمقا في المستقبل القريب.

مراجع الدراسة

اجع العربية:

- زينب حسين أبو العلا وآخرون «الاتجاهات الحديثة في خدمة الفرد». كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان. القاهرة، ١٩٦٥.
- عبدالجواد صالح «الاحتلال الإسرائيلي». مركز القدس للدراسات الإنمائية. لندن، ١٩٨٥.
- تقرير دار الضيافة الاجتماعية للفتيان، إدارة رعاية الأحداث، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، التقرير السنوي. ١٩٨٧.
- جريدة الوطن «العدد ١١٣/٥٦٦٧»، الاثنين ١٨/١١/١٩٩١.
- تقرير يوضح آثار الغزو الغاشم على العمل الاجتماعي والنفسي بدار الطفولة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ٩/١٠/١٩٩١.
- تقرير عن الأعمال التي تم إنجازها في قطاع رعاية المعاقين خلال فترة ما بعد التحرير، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ٢٧/٦/١٩٩١.
- تقرير عن رعاية الطفل الكويتي قبل الغزو العراقي، والآثار النفسية المترتبة عليه بعد الغزو، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل أكتوبر ١٩٩١.
- التقرير السادس عشر لدار رعاية المعاقين، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، إدارة رعاية المعاقين ١٩٨٩.
- مذكرة عن سير العمل بدار رعاية المسنين خلال فترة الاحتلال من ٢/٨/١٩٩٠ وحتى بزوغ فجر يوم التحرير ٢٦/٢/١٩٩١، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، إدارة رعاية المسنين. أغسطس ١٩٩١.
- عبدالعزيز اللبدي، «الأحوال الصحية والاجتماعية للشعب الفلسطيني»، دار الكرمل، عمان، الأردن، ١٩٨٢.

المراجع الأجنبية:

1 - Comption B. Roberts and Galaway Burt, «Social Work Processes». The Dorsey Press, Illinios- 1984.

2 - Banner James and T.O., «Understanding The American Experince: Harcourt Drace. U.S.A. New Yourk. 1973.

3 - Meyer H. Carol, «Content and Process in Social Work Practiee: A New Look at Old Issues». Social Work, September - October 1987. U.S.A.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

علميّة مُحكّمة تُعْنَى بالبحوث والدراسات الإسلاميّة
تصدر عن جامعة الكويت كل أربعة أشهر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد حسن فرحات

تشتمل على :

- ★ بحوث في مختلف العلوم الإسلاميّة .
- ★ دراسات قضايا إسلاميّة معاصرة .
- ★ مراجعات كتب شرعيّة معاصرة .
- ★ فتاوى شرعيّة .
- ★ تقارير وتعليقات على قضايا علميّة .

الاشتراكات :

للأفراد ٣ دنانير داخل الكويت - ١٠ دولارات أمريكية خارج الكويت
للمؤسسات والشركات ١٣ دينارًا داخل الكويت
٤٥ دولارًا أمريكيًا خارج الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير
ص.ب : ١٧٤٣٣ الخالدية
الكويت - هاتف : ٤٨٤٧٢٦٩